بواعث اللذّة والألم عند الشاعر العباسي
(الطبيعة والمرأة إنموذجاً)

أ.م.د. عثمان عبد الحليم الرواي
م. رائد عكلة خلف العسافي

الخلاصة

تهدف هذه الدراسة إلى استجلاء بواعث اللذة والألم عند الشاعر العباسي ، وتقصي فعاليتها ومعرفة أبعادها على ذاتية الشاعر وهو يتأرجح بين هذه الثنائية ، أي بين اللذة تارة وبين الألم تارة أخرى .

وقبل الولوج في دراسة هذه البواعث ارتأينا أن نمهد لمفهوم (اللذة والألم) لنكوّن فكرة عامة عن هذه النزعتين ، وبيان أوجه التشابه والاختلاف فيما بينهما ، ومن ثم نقصر جهدنا على محورين أساسيين نراهما من البواعث المهمة التي كان لها أثرٌ بارز في إثارة هذه الثنائية التي كشفت عن الخفايا والسلوكيات الغائرة لدى الذات الشاعرة وما يدور في خلدها من الأحلام والرغبات ، ومن الهموم والمعاناة ، وهذان الباعثان هما : الطبيعة ، والمرأة .

Abstract

This study aims at explaining Motives of delight and pain in the Abbaside poet ,investigating their activity and recognizing their dimensions on the poets identity. The poet is swaying between delinght and pain.

Befor Studging these motives, We Consider to expgin the concept (delight and pain) to form a general idea about these two tendencies and to show similarities and differenas between them. Then we limit ourselves with tow main axes because they are important motives Which have a notable role ,that stimulates this dichotomy .This dichotomy reveuleled the concealed and the deep behaviour in the poet,s identity and its dreams,wishes,worry and suffering .These two motives are nature and woman.

التمهيد

إنّ اللذة والألـم من الكفيات النفسانية الأولية للذات الإنسانية [١] وهما مبدآن متعارضان يتحكمان ويسيطران على السلوك الإنساني ، فمبدأ اللذّة – كما يرى العالم النفساني فرويد "Freud"– هو المسيطر على الفرد منذ طفولته ويظهر في الطاقة الحيوية أو الجنسية أو ما يسمى باللبيدو"Libido "[٢] أو غريزة الحياة يسعى الإنسان دوماً إلى إشباعه بصرف النظر عن كل الاعتبارات ، ومن السعي وراء اللذّة وتجنب الألم، ويظهر مبدأ الألم في غريزة الموت [٣] .

نفهم من ذلك أنَّ اللـذة هي ((نوع من التحرر أو العمل على التخلص من الألم))[٤] أو هي((إشباع لرغبة على نحو لا يتطلب نشاطاً بمعنى حيوية ، ويمكن أن يكون الإحساس باللذة مكثفاً مثل إحراز نصر إجتماعي أو الحصول على مزيد من الربح ... أو تكون اللذة الجنسية المألوفة ، أو الأكل حتى الإمتلاء ، أو لذة إشباع نزوع سادي ، أو نشوة شراب ...))[٥] .

ولو أنعمنا النظر في طبيعة اللذة والألم؛ لتبين لنا أنهما مجرد عرض أو علاقة تصاحب حالة جسمية أو نفسية: فالعضو الذي يمارس نشاطه بطريقة صحيحة اعتيادية لابُدَّ من أن يجيء نشاطه مقترناً بضرب من الشعور باللذة ، في حين أنَّ العضو الذي يمارس نشاطه بطريقة مرضيّة غير سليمة ، لا بُدَّ من أن يصحب نشاطه شعوراً بالألم ، وهذا الأمر أيضاً يؤثر من الجانب النفسي[٦] مع مراعاة أنه ليس من الضروري أن تكون كل لذة خيراً ، وكل ألم شراً ، فإنَّ بعض اللذات شرور كلذة تعاطي الخمور، وقد تضم بعض الآلام شيئاً من الخير كالألم الناشئ عن تأنيب الضمير... [٧] ولعل في قوله ﷻ **﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾** [٨] خير دليل على ذلك .

فالذات هي من تستشعر ذلك الشعور الناتج عن اللذّة والألم ، ومع ذلك لا تستغني عنهما . بمعنى آخر إننا لا نشعر قط بكوننا سعداء وبعيدين عن الألم إلا بعد أن تفارقنا تلك السعادة التي كنا غارقين في غمراتها ، وربما كان السبب في ذلك أن السعادة تخلق ضرباً من الإنسجام بين اللذات والعالم الخارجي ، وعليه فلولا الألم لم نشعر بالسعادة أو اللذة ((فليس ثمة مخلوق لم يحلم باستئصال كل ما في الحياة من ألم ، حتى تسود العالم اللذة وحدها ، ولكن هذا الحلم الجميل ، هو في الحقيقة ضرب من الاستحالة ؛ لأن من ينتزع من نفسه القدرة على التألم إنما يحرم ذاته في الوقت نفسه من القدرة على التلذذ))[٩].

نستشف مما تقدم أن اللذة والألم ((حالتان مرتبطتان ولا سبيل إلى الفصل بينهما على الإطلاق ، مثلهما كمثل كفتي الميزان كل حركة في إحدى الكفتين من شأنهما أن تستتبع بالضرورة تحرك الكفة الأخرى))[١٠] .

أولاً: الطبيعة

إنَّ العلاقة بين الإنسان والطبيعة علاقة تضاد منذ الأزل ، فالطبيعة بكل قواها وعناصرها تهيمن على وجود الإنسان ، وهي مصدر شقائه وألمه وراحته ولذته .

وقد سمى الحكماء عالم الطبيعة بـ(عالم الآلام) ؛ لأنه عالم الحركة وسموا عالم العقل بـ(عالم اللذات) ؛ لأنه عالم السكون ، فكما أن الحركات آلام كذلك السكنات لذات ، وهي المطلوبة بالحركات ؛ لأن كل متحرك إنما يتحرك ليسكن وعندها يلتذ [١١] .

وبما أن الطبيعة هي ((سحر يفوق كل سحر ، ولها سلطانها على الإنسان وقدرتها على تحرير ذاته من قيود الحياة))[١٢] ؛ لذا فهي مصدر وحي عند جميع الشعراء يستمدون منه الصور والرموز والعبر ، فعبروا عن آلامهم وأحزانهم وأفراحهم ولذاتهم وصوروا حالاتهم النفسية من خلال المنظر الطبيعي ، ولهذا قيل : إنَّ الطبيعة هي ((جانب يرمز إلى عالم ثري من المشاعر والأحاسيس))[١٣] .

والشعراء العباسيون أقبلوا على الطبيعة مع ثقافتهم الشعرية فتأملوها ودققوا النظر فيها ، ثم استخرجوا من المعاني أروعها ونظموا من الأخيلة أجملها [١٤] وازدادت صلتهم بها فأصبحت في نفوسهم استجابة ذاتية بعيدة عن النمط التقليدي ، ومن هنا كان التجاوب الوجداني بين الشعراء ومظاهر الطبيعة بكل جوانبها السارة والمؤلمة [١٥] فصوروا لنا ذلك في غاية الإبداع الشعري عن طريق منحهم تلك الأجزاء صفات بشرية ومشاعر، فكانوا ((يحاولون بذلك أن ينقلوا إلينا أحاسيسهم القائمة وكأنهم يفسرون الرمز بالرمز حتى يمثلوا لنا عالمهم وما يتراءى لهم فيه من أحلام))[١٦] ، وتعاملوا مع مظاهر هذه الطبيعة الصامتة والمتحركة فاتخذوها مادة للتأمل نازعين بها إلى عالم إنساني تضطرب فيه المشاعر وتتنازع فيه الرغبات بين اللذة والألم .

ومن تلك المظاهر البارزة التي أثارت نزعتي اللذة والألم عند الشعراء العباسيين هي (الأطلال) والبكاء على الديار البالية والقفار الخالية ، إذ وجد الشعراء في بكائهم على هذه الأطلال تنفيساً لما يختلج في نفوسهم من الحزن والألم على الأيام الماضية والذكريات الجميلة التي تشعرهم بلذة الحياة ، وأن كان وقوفهم هذا يُعدُّ

تقليداً لأسلافهم إلا إنه لا يخلو من تلك المشاعر ((فكل بيئة كانت تمد الشـــاعر بروافد طللية تبعاً لمســـميات أمكنتها التي أودعها خلاصة ذكرياته فأثرت فيه حتى أسقط *عليها نفسه ووجدانه ؛ لأنه يريد أصحابها لذلك أسرف في ذكرها ؛ لأنها متنفس عواطفه وأحلامه كما كان لهذه الأمكنة في المقدمات الطللية دلالات فنية ، هو من العلم بحيث كان الشاعر يقصدها قصداً فهي ليست سنة طللية فحسب بل كانت سنة فنية ونفسية))[١٧]، وصارت في أغوار النفـــس شقوقاً وأخـــاديد يحتفرها سيل الدهر احتفـــاراً فتنبجس منها الأحـــاسيس وقد أترعت حزناً وألماً [١٨] .

ويقف أبو الشيص الخزاعي على تلك الأطلال قائلاً :

يا دارُ مـــــالكِ ليس فيكِ أنيـــسُ	**إلاّ معــــــالم آيهـــــــــنَّ دروسُ**
الدّهرُ غالكِ أم عراك من البـــــــلى	**بعد النَّعيـــم خشـــــــــونةٌ ويبوسُ**
ما كان أخصبَ عيشـــــــنا بك مرَّة	**أيام ربعـــــك آهلٌ مــــــــــأنوسُ**
فســـــــــقاكِ يا دارُ البلى متجرّفٌ	**فيه الرَّواعدُ والبــــــروقُ هجوسُ** [١٩]

فالطلل أثار تداعيات اللذة والألم عند الشاعر ، إذ نراه يخاطب الدار التي أصابها العفاء والتقادم ، وأصبحت موحشة لا أنيس فيها يؤنسها سوى صوت الشاعر الذي أرجع ذلك البلاء إلى الزمن وتقلباته ، فتبدلت بعد النعيم والسعادة إلى دار بالية مقفرة ، وفي خضم هذا التوتر النفسي الذي يعانيه الشاعر أخذت بواعث اللذة تجدد عنده من خلال استذكاره لأيامه الماضية حين كانت هذه الدار عامرة بأهلها مستأنسة بهم ، وهذه الذكريات تمثل ((رمزاً لماضي فقده وما زال يرحل إليه وخاصة إذا ما شعر بمرارة الحاضر وشدة وطأته عليه))[٢٠] ، ولاستمرار هذا الشعور باللذة التي أحدثها ذلك الطلل نراه يدعو له بالسقيا . وهي دعوة إلى مبدأ استمرار الحياة من حيث هي نشاط وفعالية من خلال السيول والأمطار لتكون في خدمة الأطلال لكي لا تزول [٢١] ولتكون سبباً في البعث والقدرة على التجدد والاستمرارية ، وبذلك كانت الأمطار باعثاً من بواعث لذة الشاعر في بعث الأمل من جديد وعدم الاستسلام للألم .

والناظر في أشعار العباسيين يجدها حافلة بتلك المشاعر المتأرجحة بين نزعتي اللذة والألم التي أثارتها هذه الأطلال [٢٢] ، فهي قد هيجت في قلوب المحبين نيران الشوق واللوعة بعد رحيل حبيباتهم ، فتركت في

نفوسهم الألم والحسرة وسكبوا على أعتابها الدموع الغزيرة التي مثلت عند بعضهم لذة تشفي ما في صدورهم من الألم ، كما في قول ربيعة الرقي :

خلـــيليَّ هذا ربعُ ليلى فقـــــــيِّدا بعيريكُما ثّم ابكـــــــيا وتجـــــلّدَا

قِفا أسْعِداني بــــــــارك الله فيكما وإنْ أنتما لم تفــــــــعَلا ذاك فاقعدَا

وإلا فسيرا واتركــــــــــاني وعولتي أقلْ لجنابي دمنةِ الـــــدَّارِ أسعِدَا (٢٣)

فالشاعر يستعذب البكاء فهو يمنحه لذة لا حدود لها في التنفيس عمّا في نفسه من الألم والحزن بائنة في قوله (أسعداني) ، والسعادة التي يبتغيها الشاعر هنا سعادة دائمة وليست مؤقتة متمثلة بالبكاء و الوقوف على تلك الأطلال ، وهذا ما دعاه أن يطلب من صاحبيه أن لم يشبعا رغبته منهما أنْ يتركاه ويقعدا ، والأطلال بذلك امتزجت في مخيلة الشاعر بالمرأة المحروم منها ، وأصبحت باعثاً من بواعث لذاته وآلامه ؛ ولهــذا إنَّ كـــل تحول للمــكان إنما هو تحول حتمــي في المــرأة وبكــاؤه بكاء لها (٢٤) .

وبما أن الشاعر ابن بيئته وعصره ؛ لذا فهو ينقل هواجسه وأحاسيسه وحالاته النفسية والتوترات الحادة التي تؤلمه عبر كيانات موضوعية التقطها من واقعه ؛ لأنه وجدها أكثر استيعاباً لمعاناته فاســقط عليها ما في نفسه ومنحها بعداً رمزياً ؛ لتصبح أكثر تأثيرا وأكثر جمالية وفناً ولتكون بذلك معادلاً موضوعياً (٢٥) لذاته وهذا ما يتضح لنا مثلاً في سينية البحتري البالغة (٥٦) بيتاً بوصفه لإيوان كسرى ، إذ تروح بها عن همومه وواصفاً الأطلال بدافع ذاتي داخلي لا طلباً لرضى الممدوح ولا مجاراة لأسلوب القدامى بل كانت قصيدته اعترافاً بما يعانيه من الآلام والهموم، وتحقيقاً للذة التأسي وتخفيفاً لآلامه ، إذ يقول في مطلعها :

صنتُ نفسِي عمّا يدنّـــــــسُ نفسِي وترفّعتُ عن جـــــدا كلّ جبـــس (٢٦)

فتظهر (أنا) الشاعر واضحة في البيت وكأن البحتري قصد بذلك توجيه الأنظار إليه حتى إذا ما انتقل إلى تصوير الإيوان عرفنا أنَّ المقصود هو ذاته التي أسبغها على الإيوان ، وينتقل الشاعر بعدها إلى تفصيل همومه وآلامه وتجاربه مظهراً تماسكه وتجلده :

وتَماسكتُ حـــينَ زعزعني الدّهـــــــرُ التِماساً مِنهُ لِتعــسي ونكســـي (٢٧)

فهو متماسك على الرغم من نكبات الدهر ، كتماسك الإيوان على مر الأيام ، وتتوالى الهموم على الشاعر ، فيتوجه إلى المدائن لعله يجد فيها ما يخفف عنه بعض آلامه، وهنا تظهر بواعث اللذة العقلية في التأسي بأولئك الأقوام الذين جمعته معهم وحدة التجربة :

أتسلّى عن الحظوظِ وآســــــــــى لِمحلٍّ من آل ســـــــاسانَ درسِ (٢٨)

فهذه الأطلال التي خلت من سكانها ما هي إلا ذات الشاعر الذي أضحى وحيداً بعد ما مات رب نعمته المتوكل ، وانفض من حوله الخلان ، وهنا تتجمع أمام ناظري الشاعر لحظتان : لحظة الماضي الذي كان مبعث لذته وسروره ، ولحظة الحاضر الذي كان مبعث حزنه وآلامه فأصبح حاله بذلك كحال الإيوان الذي كان بنية رمس قام فيه مأتم بعد عرس :

لو تراه علمتَ أنَّ اللّـــــــــيالي جعلتْ فيــهِ مأتماً بعد عـــرسِ (٢٩)

ويعود البحتري ثانية إلى الإيوان فيراه على الرغم من أنه وحيد حزين لكنه بقى محتفظا بتجلده وشموخه ، وما هذا التجلد والشموخ سوى الشاعر نفسه (٣٠) ، هكذا نلاحظ أن أطلال إيوان كسرى مثّل معادلاً موضوعياً لنفسية الشاعر ، وكان باعثاً للذة والألم .

ومن المنطلق نفسه الذي ظهرت فيه حقيقة التجربة الشعرية التي عاشها البحتري في وقوفه على تلك الأطلال ، نلحظ على الشعراء العباسيين في أغلب الأحيان أنهم مأخوذون باستحضار الموروث ، والتصرف به على وفق ما تمليه التجربة الشعرية أو نفسية الشاعر ذاتها، مستبدلين عناصر الطلل القديم والقفار الخالية بـ(الديار الحضرية) كالأديرة والحانات وما شابه ذلك – تماشياً لا شك مع متطلبات العصر – لتكون هي الأخرى اطلالاً أخذوا يستبكون ويحنون إليها كلّما تذكروا عهودهم الماضية بها أو كلّما مرّوا بقربها ونظروا إليها ، وقد عاثت عليها السنين وأنهكتها الأيام الطوال ، فهذا ابن المعتز راح يتألم ويحن إلى مرابع لهوه ولذاته التي كان يرتادها وأصحابه في الماضي ، بعدما رآها وقد غدت أطلالاً تسفي بها الرياح ، في قصيدة أولها :

سقى الله في غُمّـــــــــى بقية منزل يعفّيه ذيلٌ من جنــــــــوبٍ وشمـألِ

تركتـــــــــكِ لا ترك الملالةِ والقلـى فهـــــــاي عليكِ نوحُ ثكلان معولِ

خلـــــــيليّ عوجاً بعض ذا اليوم واسألا متى عهدُه بالشـــــــــــــارب المتميّلِ

....

ألا ربّ يومٍ فيـــــــــــــكِ قصّر طُولَه دمُ الزّق منزوفاً بهـــــــاتِ وعجّلِ (٣١)

فهذه القريـة المسماة (غمـى) يراهـا الشـاعر قد غدت أطـلالاً محتها ريـاح الشمال والجنوب ، وزالت معالمها إلا بعضـاً من منازلها التي يدعو الشاعر لها بالسقيا ، فهي ما تزال تعيش بذاكرته ؛ لأنها كـانت مربـــــع لذته حيث الخمرة والأصـــحاب ، وهو يخاطبهـــا مجدداً عهـــــده معهـــا بأنـــه لم يترك (الملالـة والقلى) إشارة إلى عدم تركه للذة الخمرة نهائياً ، حتى أخذ يبكي ويتألم لانقطاعه عنها كبكاء الأم الثكلى ما دام هو بعيداً عنها .

والطبيعة تبقى بكل مظاهرها حاضرة في وعي الشاعر وأحاسيسه يؤطر بها تجاربه الشخصية ويمزجها بانفعالاته وحالاته النفسية وما يعتريها من مباهج وأحزان ؛ ليكون (صوت الحمامة) باعثاً آخر للذة والألم ، كما في قول ابن المعتز :

وصوت حمامة سجـــــــعت بالليل وقـــــــد حنت إلى ألـــــــــف بعيد

فما زلنا نقـــول لها أعيـــــــــدي وللســـــــاقي ألا هـــل من مزيد (٣٢)

فالموقف النفسي الذي يمرُّ بـه الشـاعر ، وما يشعر بـه من الحزن في ليله الموحش أسقطه على تلك الحمامة ، التي كان صوتها باعثاً حرّكَ ما في نفسه من مشاعر الألم ، وهو بعيد عن أحبابه ؛ ليكون صوتها وسجعها صوته هو البـاحث عن لذة التخفيف وعلـيه راح يتلذذ ببكـــائها، من خلال قوله (أعيدي) و (ألا هل من مزيدي) ، فبكاء الحمامة هنا ألمٌ يستبطن اللذة ، وهذا الألم مدعاة للذة والتمتع لدى الشاعر .

ودفع الموقف النفسي الشاعر عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ؛ ليصور ما يكنّه في أعماقه من الألم أثر مقتل أخيه ، فأسقطها على الناقة ووليدها ، وكانت لذته تكمن في تعزيته لنفسه من خلال التأسي بذكر احتفالية الحياة والموت ، يقول :

**فما أم سقبٍ أودعتــــــــــــه قرارةً		من الأرض وانســـــاحت لترعى وتهجـعا**

**لحيسٌ كمثل الايهـــــــــقان ابن ليلة		أمد قواه أن ينـــــــــــوء فيركـــــــعا**

**ويهتز في المشـــــــــي القريب كأنه		قضيبٌ من الـــــــبان ارتوى فترعـــــرعا**

**فظلت بمستنّ الصــّـــــبا من أمامه		تبغم في المرعــــــــى إليه ليســــــمعا**

**إذا غفلــــــت نادت وأن نـــــاب نبأة		على سمعها تذكر طـــــلاها فتربــــــعا**

**فخالفها عاري النــــــــواهق شاسب		أخو قفرة أضحى وأمـــــسى مجـــــوّعا**

**فانهل منه بعد علّ ولم يـــــــــــدع		لملتمسٍ إلا وشـــــــيقاً مذعـــــــــذعا**

**فجاء بريّاه نســــــــــيم من الصبا		إليها ورزء جر ثكـــــــــلا فأوجـــــعا**

**فاعجلها عن حمها الوجـــــد فارتمت		على دهـــــــسٍ لا تأتلي أن تشـــــنعا**

**مولهةً لم يترك الوجد عنـــــــــــدها		بواحـــدها إلا فؤاداً مــــــــــــــــروعا**

**فطافت بملـقاه ومصـــــــــرع جنبه		فسافت دمـــــــــاً منه وشلواً مقطـــــعا**

**لحارت وبارت واستــــــطارت ورجعت		حنينياً فأبكت كل من كـــان موجعا** (٣٣)

لا شك أن الشاعر جعل من الناقة ووليدها معادلاً موضوعياً للتعبير عن حاله وأخيه ؛ لأنهما عاشا التجربة نفسها من اللذة والألم ، إذ صور الناقة سعيدة هانئة ملتذة بوجود وليدها معها يرتع ويلعب غير بعيد عنها ، وكلما أفتقدته نادت عليه لكي يبتعد عن مصادر الخطر ويقترب منها ، ولكن تلك اللذة لم تدم ، فعلى الرغم من حذر الناقة الشديد على وليدها إلا إنها تتفاجأ بذئب ناقض العظام ضامر يابس يعرض لولدها ويهاجمه مصيّراً إياه قطعاً متفرقة ، هنا يصور الشاعر مشاعر الألم لتلك الأم التعيسة ، وما هي إلا آلام الشاعر نفسه ، فهذه الناقة ترى بأم عينيها مشهد الفتك بوحيدها ، ولنا أن نتصور مدى ألم تلك الأم ومبلغ حزنها ومأساتها ، فقد خارت قواها وراحت تضرب في الأرض على غير ذي هدى وهي لا تملك سوى النوح والأنين .

وهكذا نجد الشاعر العباسي يحاول الوصول إلى أغوار النفس من خلال استخدامه أغوار الطبيعة ومظاهرها ؛ لتبوح بمشاعر اللذة والألم التي نراها هذه المرة متمثلة بألم الفقر والحرمان عند الشاعر أبي الشمقمق الذي عبّر عنه من خلال محاورة لطيفة تبدي ما في نفسه من الألم أسقطها على حيوان السنور، فقال :

وأقـــام السنّورُ في البيـــتِ حَولاً ... ما يرَى في جوانبِ البيـــتِ فارَه

ينفضُ الرَّأس منـــهُ من شدَّة الجُـــو ... عِ وعيـــشٍ فيه أذى ومَـــرَاره

قلتُ لمّا رايـــته ناكِـــس الرَّأ ... سِ كئيباً في الجـــوفِ منه حـَـراره

ويكَ صَبراً فأنتَ من خـــير سنّـــ ... ـورٍ رأته عيناي قطٌّ بِحَـــاره (٣٤)

إنَّ الشاعر لجأ في بداية أبياته إلى أسلوب الوصف التحليلي الذي صوَّر فيه حال ذلك الحيوان (السنور) ومشاعره حين لا يرى في البيت ما يشبع لذته ويغذي به نفسه ، فجعله الشاعر ينفض رأسه من شدة الجوع الذي يشعر به ، ووصفه كذلك بالكآبة وتنكيس الرأس ، وهذه كلها أوصاف للدلالة على الشعور بالألم والحرمان ولكن الشاعر سرعان ما يلبث أن يجعل لذته تكمن في فضيلة الصبر الذي راح يعزّي به ذلك السنور ؛ ليخفف من واقعه المؤلم ، فحال السنور والجوع الذي يشعر به ما هو إلا الوجه الآخر لحال الشاعر نفسه الذي يعيش بين كفتي اللذة والألم . وبذلك تفيض ذات الشاعر على الأشياء حتى تطالعنا بأحداق وملامح إنسانية ، تضحك وتبكي ، وتطرب وتشقى ، وتعاني وطأة الوجود وتغتبط به، فكأنما هي إنسان كامل سوي أو كأن الشاعر يصف ذاته من خلال هذه الأشياء (٣٥)؛ لترسم بذلك مدى العلاقة بين الشاعر والطبيعة ، ولتكون تلك الإسقاطات المتكررة التي نلمسها عند الشاعر العباسي خير دليل على حركية اللذة والألم التي تثيرها تلك الطبيعة التي تبدو واضحة كذلك في قول علي بن الجهم الذي عبّر بها عمّا يختبئ في نفسه من نوازع اللذة والألم ، فترجمها لنا بصورة غير مباشرة من خلال وصفه لمشهد السحاب :

وساريةٍ ترتادُ أرضـــاً تجـــودُها ... شغلتُ بهـــا عيناً قليلاً هجودها

أتتنا بها ريـــحُ الصَّبا وكـــأنَّها ... فتاةٌ تزجّيها عجوزٌ تقـــودها

تميسُ بهـــا ميساً فلا هـــي إنْ ونت ... نهتْها ولا إن أســـرعتْ تستعيدُها

إذا فارقَتها ســـــاعةً ولهتْ بـــــــــــها	كأمٍّ وليدٍ غـــــــابَ عنها ولـــــيدُها

فلمَّا أضرَّت بالعـــــــــــيونِ برُوقـــــــها	وكــادتْ تصمُّ السّامعين رعــــــودُهــا

وكادتْ تمــــــــــــيسُ الأرضُ إمَّا تلــهُّفاً	وإمّا حذاراً أن يضــيع مريـــــــدهـــا

....	....

فما برحتْ بغدادُ حتـــــــــى تفجـــــرتْ	بأوديةٍ ما تســـتفيق مــــــــدودُهـــا

وحتى اكتست منْ كـــلِّ نورٍ كـــــــــأنّها	عروسٌ زهــاها وشيُها وبرودهـــــا(٣٦)

إنَّ النص يظهر اللذة والألم ، فالمشهد الجليل لهذا السحاب يثير لدى الشاعر نوازع الألم . والجليل هو كل ما حرك في النفس الوحشة وحجب عنها رونق الحياة وأثار فيها الألم ، أما الجميل فهو كل ما حبب الحياة إلى النفس وجلب لها اللذة بوجه كلي وبغير تصور(٣٧) ، وقد أسقط علي بن الجهم ما في نفسه على ذلك السحاب الذي تجمع فأثار هواجس الشاعر وشجونه ، في ليله المظلم الذي لم تغتمض فيه عينا الشاعر إلا قليلاً ، وهنا إشارة إلى ما يعانيه من الآلام والأحزان ، فالسحاب الذي قادته لهم ريح لطيفة ، كان أشبه بفتاة تقودها عجوز تدفعها برفق وحنان إلى مثواها ، وهي ترافقها أينما حلّت ولا تفارقها ، وإن فارقتها حزنت عليها كأم الوليد عندما يغيب عنها وليدها ، وهذه السحابة كان لها وميض برق يضرّ بالعيون ، وصوت رعد يصّم أذن السامع ، والمشاهد بذلك جميعاً تثير خوف الشاعر فـ((ليس هناك ما يوازي الخوف في تملكه لنواحي العقل ولقواه ، ولأنه إدراكٌ عميقٌ للألم والموت كما لو كان ألماً فعلياً))(٣٨) ، أما المطر الذي يعقب ذلك السحاب تفجرت به الأودية، كان باعثاً للذة عند الشاعر وسبباً لنشوته ولا سيما حينما اكتست الأرض بالأزهار الجميلة ، وكأنها عروس زينت في كامل حليها ، وبذلك انتقل المشهد ((من حواس الشاعر إلى نفسه إلى ضميره بصورة إنسانية حية تتحد به أو تنحل فيه وتتخذ منه وجوداً أو مفهوماً جديداً))(٣٩) يعبّر عن نظرته إزاء الطبيعية وتجلياتها التي راحت تثير هواجس الخوف كذلك عند ابن الرومي ، فجعلته يعيش حالة من الاستبطان الذاتي (٤٠) أو الازدواجية بين الرغبة والرهبة ، الرغبة المتمثلة بكرم الممدوح ، والرهبة المتمثلة بألم الخوف من مظاهر الطبيعة التي تمنعه من الوصول إليه في قصيدة بلغ عدد أبياتها (١٨٤) بيتاً (٤١) ومنها قوله :

تنـــــازعني رغبٌ ورهب كــــــلاهما قوي وأعيـــــــــاني اطّلاعُ المغايب

أخــــــاف على نفسي وأرجـو مَفازها وأستــــــــــار غيب الله دون العواقب

... ...

لقيت من البر التَّـــــــــباريح بعدما لقيت من البحر أبيــــــــاض الذوائب

الرغبة والرهبة التي يصرح بهما الشاعر هنا تشكلان مفتاح شخصيته وتبعثان اللذة والألم في نفسه ، وقد عبّر عن ذلك الفيسلوف ابيقور الذي قصد ((بالرهبة على وجه الدقة الرهبة بشأن الموت وبشأن العالم الآخر وبشأن الآله ، ويقصد بالرغبة اشتهاء المتع الجسدية (من أكل وشراب ومتعة جنسية) والخبرات الخارجية (الثروة والمال والمجد والسلطة وما إلى ذلك))(٤٢) ، وهذا هو واقع ابن الرومي الذي كان يعيش بين نزعتي اللذة والألم، فهو إنسان جبان حريص على الحياة ولذاتها ، ويخشى الموت في الوقت نفسه ؛ لذا فهو متبرمٌ دائماً من مظاهر الطبيعة ويخشاها ، يقول في البحر :

وحسبي رائعـــــــاً أهــــــــوال بحرٍ يظل العقلُ منــــــــــــها ذا عُـزوب

تســــــامى فيه أمــــواجٌ صِـــــعاب كأنّ زهـــــاءهنّ زُهـــــــــاءُ لُــــوب

أظل إذا طفوتُ علـــــــــــــى ذُراها أهلل من محـــــــــــاذرة الرســـوب

تلاعبُ بي تـــــــــــلاعب ذات جدٍ غواربُ متن مجــــــــــــــدادٍ لعــوب

أعيد ركوبـــــه صُبــــــــحاً ومُسيا ومـا هــــــو بالذلـولِ ولا الركـــــوب

وقـــــــــــاني شرّه من بعد يـــــــأسٍ دفــــــاعُ الله دفـّـــــاع الرّيـــوب (٤٣)

يظهر النص حالة الترقب والخوف التي أصابت ذات الشاعر ، فجعلته يعيش صراعاً نفسياً ، هو إظهار لذلك الصراع الأبدي في نفس الإنســـان ، وفي الحياة التي يحياها بين غريزة الحياة (ايورس Eros) وغريزة الموت (ثناتوس Thnatos) من وجه نظر العالم النفساني فرويد (٤٤) ، فهو يخشى هول هذا البحر وأمواجه العاتية المخيفة التي تمثل عند الشاعر خطراً يجب أن يكون منه على حذر تام ؛ لأنه في رأيه لا يؤتمن فهو باعث للشر والألم ، ووجهاً آخر للموت الذي يخشاه ويحرمه من الحياة ولذاتها التي يسعى إليها بكل

السبل ، والخير عنده –إذن – أن يعيش هذه الحياة مهما كانت الأسباب ، والشر هو حرمانه منها وبه يكون ألمه . وهذا ما يذكرنا برأي ابيقور الذي يرى أن اللذة هي الخير الأقصى ، وأن الألم هو شر خالص [٤٥] ؛ لذا نجد الشاعر العباسي كثيراً ما كان يتشاءم من بعض مظاهر الطبيعة ويتفاءل ببعضها وهذه الظاهرة نجدها بارزة في ذلك العصر . فهو كان عصر الاعتقادات السائدة حيث الإيمان بالسعد والنحس والفال حتى أصبح مذهب الشك هو السائد فيه [٤٦] فالخوف والظروف الخارجية وتحديات الطبيعة دفعت الكثير من الشعراء إلى التشاؤم ؛ لأنهم وجدوا فيها نفوراً عن الواقع المؤلم المرير الذي الجأهم إلى ممارسات قد لا تبدو لنا معقولة ، وليس لها داع مع ذلك يلجأون إليها ؛لأنها تمثل عندهم مستودع فالهم ، وتحقيق رغبتهم وتشبع لذتهم ، وهذا ما يتضح لنـــا مثلاً في قول الشاعر الأحمير السعدي :

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئب إذ عـــوى وصوَّتَ إنســـــــــــانُ فكدتُ أطـيرُ

يرى الله أني للأنيـــــس لشـــــــــأنيٌ ويبغضهم لـــــــــي مقلةٌ وضميرُ [٤٧]

يجد متأمل هذين البيتين نزعتي اللذة والألم مستبطنة فيهما ، فالشاعر كان أحد الشعراء اللصوص الذين كانوا منبوذين من قبيلته ؛ بسبب ذلك السلوك الذي يتناقض مع القيم والعادات السائدة ، وفي الوقت ذاته كانت نفسه تهفو إليهم وتريد أن تحيا حياة هائنة معهم ، ولكن حالة العزلة التي فرضت عليه لا شك أنها ولّدت لديه شعوراً بالألم ونازعاً عدوانياً تجاه بني جنسه دفعه أن لا يرى فيهم إلا رموزاً للألم والشر ، مما جعله يبحث عن البديل والنكوص والتراجع إلى أسلوب ساذج في التكيف ، فلم يجد إلا الطبيعة التي أصبحت بكل مظاهرها قريبة منه ورمزاً للخير ، فآثار أن يقضي حياته فيها ، ولذلك فهو يتفاعل بصوت الذئب مع أنه حيوان مفترس ويستأنس به فكان مبعث لذته ، في حين يكون الأمر مختلفاً حين يسمع صوت إنسان فإنّه يتشاءم منه ؛ لأنه شر جالب له الألم والخوف .

والعباس بن الأحنف نراه هو الآخر يتفاعل ويتشاءم من بعض مظاهر الطبيعة كالريحان والياسمين بقوله :

أصبـــــحتُ أذكرُ بالرّيحـــان رائحـــةً منها فلِلنفـــسِ بالرّيحــــــانِ إيناسُ

وأمنحُ اليــــاسمينَ البغضَ من حذري عليك إذ قيل لي شطرُ اســـمه الياسُ [٤٨]

أثارت الرائحة الزكية العطرة التي يبعثها نبات الريحان نفس الشاعر ونشوته مما جعلته يتفاءل به ؛ لأنه يذكّره بأنفاس الحبيبة الغائبة عنه ؛ ولهذا كان مبعث لذته وإيناسه ، وفي المقابل كان لا يرى في الياسمين إلا شراً ويجب إن يلقاه بحذر لخوفه على هذه الحبيبة ؛ لأن وسط اسمه الياس وهو يثير فزعه وألمه عليها .

وهذه الطريقة الخاصة في التعامل مع الواقعيات اتخذها الشاعر العباسي مذهباً في التعبير عن نفسه ، وعن ذاته والتي قد تجد في الجمال مثلاً باعثاً يثير لذته ، كما عند ابن الرومي ، الذي كان يحتمي بالجمال ؛ لأنه رمز لهذه الحياة وحاجاتها وكلما أرضى حاجاته شعر باللذة ((والشعور باللذة يعيد التوازن إلى الجسم والنفس))[٤٩] مما دفعه إلى أن يتعامل مع مظاهر الطبيعة بحسب ما ينسجم مع ذاته ورغباته؛ لذا نراه يسقط ما في نفسه عليها ، فهو مثلاً يتفاءل بالنخل ويعده رمزاً للخير ويتشاءم من العوسج ؛لأنه رمزٌ للشر والألم :

**عذرنا النّخل في إبـــــــداء شـــوك		يذود به الأنـــــــامل عن جنـــاهُ**

**فما للعوســـج الملعــــــون أبدى		لنا شـــــوكاً بلا ثمـــــر نراهُ**

**تُراه ظن فيه جنـّــى كريمـــــاً		فأظـــــهر عُـدَّةً تحـمي حمـــاه**

**فلا يتسلـّـــحن لـــــدفع كفٍّ		كفـــاه لؤمُ مجـــــناه كفاه**[٥٠]

لو تأملنا هذه الأبيات لوجدنا ذات الشاعر منصبة فيها وملامح اللذة والألم بائنة عليها ، فهو يرى نفسه في تلك النخلة التي تُرْمَى بالحجارة لتعطي ثمراً طيباً يستلذ به ، من هنا اكتست بالسعف لتحمي ثمارها ، وما أهاجيه إلا سلاحٌ يذود به عن الأعداء الذين تربصوا له وأرادوا الإيقاع به ، فهو يمثل تلك النخلة والعوسج هو ذلك الإنسان الشرير الذي لا خير فيه سوى إيذاء الناس من غير نفع ولا فائدة ، فهو مكمن الشر والألم ، أما النخل فهو إنسان صاحب الخير الذي يدافع عن نفسه من خلال إظهار أشواكه لكي يهابه الناس ويبتعدوا عنه وعن إيذائه وهنا تكمن لذته.

وفي الختام يمكن القول ، إن الطبيعة لطالما خدمت الشعراء فكانت لهم كتاباً مفتوحاً يشغل فكرهم وبصرهم وباعثاً للذاتهم وآلامهم ، وكان ذلك بحسب الحالة النفسية التي كانوا يمرون بها فإذا شعروا بالفرح أفرحوا الطبيعة معهم ، وإذا حزنوا أحزنوها معهم كذلك ، وهم لم ينصرفوا عنها إلا ليقرؤا في كتاب آخر هو كالطبيعة سعة وجمالاً وغموضاً ، وهذا الكتاب هو المرأة .

ثانياً : المرأة

كثيرة هي الدراسات التي تحدثت عن المرأة ؛ لتؤكد على حقيقة ثابتة لا تتغير معالمها ، وهي أنَّ المرأة تمثل بوجودها لذة روحية وجسدية للرجل لا يمكن أن يستغني عنها مهما تكن الظروف والأحوال ؛ والسبب في ذلك كما يرى علم النفس يعود إلى مرحلة الطفولة . فالرجل عندما كان طفلاً تألم فبكى فاستجابت له الأم لتخفف من ألمه أو تزيله ؛ لهذا أحب يدها ثم أحب نظرات عينها ثم أحب كيانها ووجودها الذي يحقق له لذته ، وأصبح ابتعادها عنه يشكل تهديداً صارخاً لحياته ، فلم يكن أمامه إلا أن يستغيث متألماً لتتحول استغاثته إلى نداء من أجل الحبيب المفقود ، نداء من أجل حب يحتاجه وبقى هذا الأمر يلازمه طوال حياته (٥١) .

فالمرأة – إذن – هي الباعث الذي يحقق النشوة للرجل ، وتنسيه آلامه وأحزانه ، ويكفي أن نعلم أن عظماء الرجال وأكابر الفلاسفة والشعراء الذين أزدروا المرأة وحذّروا منها ، وابغضوها كل البغض في بعض الأحيان ، رأينا بغضهم لها ودعايتهم ضدها مبطنة بلذة الحب القاهر ، وكانوا لها اتبع من ظلها ((قهرتهم فظهرت تأثيرها في أقوالهم وأعمالهم ، فهذا اللورد بيرون يقول : إن للمرأة تأثيراً عجيباً في نفسي على ما أنا عليه من الألم وسوء الظن بهذا الجنس ، فتراني أشعر بلذة غريبة في التقرب منها ولو كانت خادمتي التي تضرم لي النار))(٥٢) .

وإذا نظرنا إلى المرأة بعين فاحصة ، لا يسعنا إلا الاعتراف بأنها كائن لطيف جذّاب وضعته العناية الإلهية إلى جانب الرجل لتعينه على الحياة ومتاعبها ((فهي مصدر للخير والجمال والحب وهي أصل الحياة بسبب قدرتها على ولادة الحياة ...))(٥٣) ، ومحط الهام الشعراء ومصدر وحيهم ، يستمدون منها أفكارهم ويستقون من منهلها بلاغتهم وجواهر بيانهم ؛ لذا فغيابها عنهم ألم وحضورها لذة ، لتكون الحياة أكثر جدة وتألقا (٥٤) .

وبالنظر إلى وضع المرأة في أي عصر نجدها مطابقة لحالة المجتمع السائدة ، فالمرأة في الشعر الجاهلي ليست المرأة في الشعر الأموي أو العباسي ، فلا المكانة هي نفسها ولا حالتها في مجتمعها هي ذاتها ، وإن كانت تفرض دخولها على الشعر فإنها تفرضها بالصورة التي يختارها لها عصرها أو الشاعر نفسه لها (٥٥).

والمرأة في العصر العباسي اختلفت نظرة الشعراء حولها ، فمنهم من كانت نظرته لها نظرة نفعية مادية لا تعدو إلا أن تكون أداة للهو والتسلية ومخلوقاً جميلاً فيه متعة للعين ومسرة للقلوب وموضوعاً للذة ونسيان الوجود [٥٦] ، وهذا الأمر مرده إلى أثر الحضارة والترف التي جعلت من الجواري والإماء متاعاً يباع في الأسواق ، وشيوع التهتك والخلاعة والمجون ، فضلاً عن انتشار مجالس اللهو والشرب التي كانت تديرها هذه الجواري مما دفع بعض الشعراء – أنْ لم نقل أكثرهم – إلى رصد المرأة واقتناص اللذة منها ، فكان للشاعر في بعض الأحيان أكثر من فتاة راح يتغزل بأوصافها الحسية مصوراً مكامن اللذة والخلاعة فيها [٥٧] ، ولا شك ((أن هذه الطائفة من النساء اللائي كنَّ يمارسن التهتك والمجون هن اللائي أوحين للشعراء بفكرتهم السيئة عن النساء))[٥٨] ، ومنهم من كانت نظرتهم لها بعيدة عن الأوصاف الجسدية فلا سلطان لشهوات الجسد أو نوازع الغريزة عليه بل كان حبهم لها روحياً خالصاً من شوائب الدنس والرجس لا يعرف مخزيات المآثم ولا مُنديات الأهواء [٥٩] .

وقد تعامل الشعراء العباسيون مع المرأة ؛ لتكون باعثاً للذة ولا سيما عندما تستجيب لعواطف الشاعر وأحاسيسه راضية غير مرغمة مما يجعله لا يألو جهداً في الوصول إليها بعد عناء وألم ؛ ليتلذذ بوصالها ويستمتع بجمالها ، كما فعل أبو نواس الذي يصور لنا بأسلوب قصصي حواري إحدى مغامراته الجريئة في الإقدام على المخاطرة من أجل الوصول إلى الحبيبة :

**قالت : لذا زُرتنا ؟ فقلـــــــت لها		يا أحسن النـــــــــاس كلهم تيها**
**لولا بلائي لما تجشّـــــمتُ أهـــ		ـــوالاً يرى المــــــــوتُ في أدانِيها**
**ولا تعرضتُ للحــــتوفِ بنفــــــــ		ـــس كـــانٍ الغــــرام يُســـليها**
**أهلاً وسـهلاً بمن تتبـّـــــــعتهُ		نفسي ومن كـــــانَ في أمـــانيها**
**فبتُّ في ليـــلةٍ نعـمتُ بهـــا		ألثمـــــــها تارة وأســــــــــــقِيهَا**
**وأجتني الطّــيب من أطـــايبها		وأمكنُ النفــــــــس من أمانيها** [٦٠]

والمتأمل للنص يلمح امتزاج لحظة النشوة واللذة التي يريد الشاعر أن يقضيها مع محبوبته بألم المــوت الذي يترآى له في الأهـوال والمخاطر التي قطعها من أجلها ، ولكن الشاعر يتنـــاسى ذلك الألم ؛ لأنه يؤمن

باللذة الحسية إيماناً مطلقاً ((فلحظات السعادة والمتعة لا يمكن تعويضها إلا بعد ارتياد عالم المرأة المشحون بالأسى وعمق الألم))[٦١] ، واللذة الأبدية التي سعى الشاعر إليها تستحق المغامرة والجرأة ، وكأنه في معركة خاضها مع الموت ببسالة وإقدام بدافع من أحاسيسه المتقدة ((فليس في وسع أحد إذن أن يفكر ما للحب من دور خطير في تجربة البشرية ، خصوصاً وقد اقترن الحب لدى الإنسان بالحرب، فكان الحب منذ البداية معركة لها قتلاها وجرحاها))[٦٢] .

وهذا الشعور باللذة الطاغية عند الشاعر العباسي ، نلمسه بشكل أعمق عند بشار بن برد ، وكأنه يريد أن يرد اعتباره أمام المرأة التي كثيراً ما كانت تهجره وتصدّ عنه ، وكأنها تتلذذ بتعذيبه فتترك في نفسه حسرة وألماً ، لكن الشاعر نراه يتسامى بالرد عليها في كثير من قصائده ليكون فيها سادياً يتلذذ هو بعذابها وألمها، وهي ((متكسرة باكية تلين لشدة رجولته وخشونتها ، وتستعذب لسطوتها))[٦٣] يقول :

حَسبي وحسبُكَ الذي كَلِفْتُ بــــه	**مني ومنــه الحــــــديثُ والنّظــرُ**
أو قُبلةٌ فــي خلال ذلك ومــــا	**بأسٌ إذا لم تُحَــلَّ لــــــي الأزُرُ**
أو عضَّةٌ في ذَ راعها ولهــــــا	**فــوقَ ذراعي من عضّــــــها أثَرُ**
أو لمســـةٌ دون مِرطِها بيـــدي	**والبـــابُ قد حال دونـــها السُّتُرُ**
واسترخَــــــت الكفَّ للعراكِ وقا	**لَتْ : إيهٍ عنِّي والدمــــــعُ منحدرُ**
أذهــب فمـــا أنت كالذي ذكروا	**أنت وربِّــي معــــــــاركٌ أشرُ**
قد غابت اليومَ عنـــك حـاضنتي	**فالله لــــي اليوم منـــك منتصرُ**
يا ربِّ خُذْ لــي فقد ترى ضُعــفـي	**من فاســق الكف مــــاله شكر**
أهـــوى إلى معضـــدي فرضَّضَه	**ذو قـــوَّةٍ مـا يُطـــاقُ مقتـــدرُ**
يُلصِقُ بــي لحيةً لـــه خَشُنَتْ	**ذاتَ سـوادٍ كـأنـــها الإبـــرُ**
حتــى أقتهرني وإخــــوتي غَيَبٌ	**ويلـي عليهم لـــو أنّهم حضــروا**

كيـف بأمــــــــــي إذا رأت شَفَتَــي **وكيـف إن شـــــــاعَ فيـــك الخبرُ**

قلتُ لـــها عنـــــــــد ذاك يا سَكَني **لا بأس إنـــي مُجَـــــــرِّب حـــذِرُ**

قولـــي لهم بقّـــــــــــة لها ظـُفـُرٌ **إن كـان فـــــي البقِّ مالهُ ظُفرُ** (٦٤)

إنَّ اهتمام الشاعر باللذة الجسدية ، جعله يتناسى ((أنّ الحب لا يتجه نحو جسد خالٍ من الروح، بل هو يتجه نحو روح قد تجسدت في بدن، فهو يجعل معه باقة من اللذّات والآلام التي يصعب التمييز في داخلها بين الشهوة الحسية والجهد المبذول لتحطيم العزلة من أجل الإتحاد مع شخص واحد، والحاجة إلى الإكتمال أو الإمتلاء، والإنفعال العنيف الذي يأخذ بمجامع القلب، والحرية الفردية التي تقبل التنازل عن استقلالها الذاتي)) (٦٥) ، فهو يقص لنا زيارته وتكلفه في الوصول لتلك المرأة التي أغواها في البدء بالحديث ، ومحاولاً في ذات الوقت إقناعها أن كل ما يريده منها سوى أن يستمتع بلذة الحديث والمؤانسة معها ؛ لذا أخذ يحادثها في مختلف الموضوعات ، وفاكهها بالنوادر حتى هدأت وافرغ روعها وبدأت تطمئن وتحس بالأمن ، فلما تم له ذلك بدأت الغريزة الجنسية (اللبيدو) (libido) تحرّكه نحو اللذات الجسدية التي ظهرت تداعياتها في (القبلة ، العضة ، اللمسة ، مص الريق) حتى علت أنفاسها المتقطعة، ثم استرخت للكف والعراك ، بعدها راح يصف حال هذه المرأة وجزعها عندما تفيق من لذتها الوقتية ، فترى ما حدث لها وتدرك فرط الألم الذي وقع لها ، حتى باتت تشكو من قوته وخشونته ((أنه يريد أن يصور شعوراً أنثوياً لا شك في صدقه ، امتزاج ألم المرأة من خشونة الرجل بما تجده من لذة مقترنة بهذا الألم ، بل لعلها صادرة عنه ، وهذا الموقف هو أتم مثال في التجـــارب الإنسـانية على اقتراب اللذة والألم إذ بلغا غايتهما))(٦٦) .

إنَّ اهتمام الشـــاعر العباسي باللذات الجسدية للمرأة يفوق أحياناً الحد المعقول ، وهذا دلالة في ظني على الشـــعور بالألم والحرمان منها ، ولا سيما إنْ كان الشاعر يعاني ضعفاً جنسياً كما هو الحال عند ابن الرومي (٦٧) ؛ لذا فهو يريد أن يستمتع بها بأي شكل كان ، ويشبع غرائزه المتوقدة بالشوق واللهفة لها :

أعــــــــانقها والنفسُ بعدُ مشـــــوقةٌ **إليها وهـــــل بعد العنـــــــاق تدانــــي**

فألثم فـــــــاها كي تمـــوت حزازتي **فيشتد ما ألقـــــــى من الهيـــــمان**

وما كان مقــــــدار الذي بي من الجوى **ليشــــــفيه ما ترشـُــــفُ الشـــفتان**

كأن فؤادي ليـــــــــس يشـــفى غليلَه سوى أن يـــرى الروحـــــين يمتزجان(٦٨)

فالمتعة التي تهيجها المرأة للشاعر لا تروي ظمأه وتعطشه لها فلا يكفيه العناق والتقبيل ، وكأن في قلبه ناراً مستعرة لا تطفئها القبلات ، بل تزيدها تلظياً وألماً واشتعالاً ويحس أن عذابه بحب صاحبته لن يخلصه منها إلا أن تمتزج روحه بروحها حتى يلتذ بالوصال الحقيقي معها .

وقد تمثل المرأة جانباً إنسانياً وأخلاقياً عند بعض الشعراء ، وليس محط إفراغ لرغباتهم وشهواتهم الجنسية – كما أسلفنا – إنَّما هي تعبير عن أحاسيسهم باللذة النقية الخالصة لذة الحب المتعفف فهذا عبد الصمد بن المعذل يصرح بذلك الحب قائلاً:

وكم ظفرت بمن أهـــــــوى فيقنعني منه الفكــــــاهة والتعلـــــيل والنظرُ

أهوى الملاح وأهــــــوى أنْ أجالسهم وليــــس لي في حـــــرام منهم وطر

فذلك الحب لا إتيــــــــان معصية لا خــير في لذة من بعـــدها سقرُ (٦٩)

إنَّ الشاعر نراه متلذذاً برؤية المحبوبة وسماعه لأحاديثها ، وهذه اللذة جاءت عن قناعة ؛ لأن لا خير في لذة جسدية في الـدنيا بعدها عذاب وألم في الآخرة ، وهذا هو المعنى الحقيقي للحب ، فهو ((ليس مجرد وظيفة بيولوجية تتكفل بتفسيرها الغريزة الجنسية ، بل هو ظاهرة إنسانية معقدة تتداخل في اعتبارات القيمة والحاجة إلى التغلب على الانعزال النفسي ، والنزوع إلى الخروج من رحلة الأنانية أو النرجسية والرغبة في التلاقي مع الآخر إلى الاتحاد مع الإبقاء في الوقت نفسه على الثنائية))(٧٠) ، وهذا ما يفسر معنى التلاقي الروحي ، وليس الجسدي عند الشعراء العذريين الذين يرون في لذة الحب والاتحاد الروحي قيمة عليا، أما الانفصال الجسدي فلا قيمة له عندهم بل لا يعدو الألم الناتج عنه سوى ألمٍ خفيف تقتضيه حالة الوجد والحرمان من المحبوبة ، التي كان غيابها عند العباس بن الأحنف نازعاً لأحزانه وآلامه ، يقول بعد تلقيه كتاب منها :

أضحـــــكني طـــــوراً وأبكـــاني كتــــــابُ مولاتي وخُلصـــــــــاني

طربْ ســــروراً حيــــــن أبصـــرتهُ فأعترضَ الشـــــــــوقُ فأبكــــاني

بتُّ بشـــــــــــمَّ وأعتنـــــــاقٍ لهُ مستغنياً عن كـــــــــل ريحـــــــان

واهـــــــاً لـــــــــــه من زائرٍ مؤنسٍ فرّجَ عنّـــــــــي بعضَ أحـــــزاني (٧١)

ترينا الأبيات حالة من الذهول تصيب الشاعر، فهو على ما يبدو كان يعيش حالة من ألم الحرمان والحسرة بابتعاده عن الحبيبة ، ولكن بوصول هذا الكتاب منها ، سرعان ما عادت له الحياة من جديد ، فكانت معه لذة الشاعر لكنها لذة ممتزجة بألم الشوق أي إنها ليست لذة نقية خالصة ؛ لأنها تخفي وراءها عالماً من القلق والتوتر ؛ وكل ما في الوجود مزيج من الدموع والضحكات أو مرّكب من الآلام والأفراح (٧٢) .

وقد تتحول اللذة إلى ألم ، والألم إلـــى لذة على وفق الموقف الذي يكون فيه الشاعر ، فالعباس بن الأحنف الذي نراه يتلذذ بكتاب الوصال من لدن المرأة في الأبيات السابقة ، نراه الآن يتلذذ بالهجر ، مع أنَّ الهجر يلازمه ألم ويصحبه حرمان وعذاب ، والسبب هو الخوف على المحبوبة من أعين الرقباء ؛ لذا فهو يهجرها مصنعاً لا يدخل في المفهوم الحقيقي للهجر ، وإنما يدخل فيما سماه ابن حزم في كتابه طوق الحمامة بالهجر الذي يوجبه تحفظ رقيب خاصة ، إذ يقول : ((فحينئذٍ ترى الحبيب متحرفاً عن محبه مقبلاً بالحديث على غيره ، معرضاً بمعرض لئلا تلحق ظنته أو تسبق استرابته ... فتراه حينئذٍ متـحرفاً كمقبـل وسـاكتاً كناطق))(٧٣) ، يقول الشاعر :

وما الهـــجرُ إلاّ جنةٌ لي لبـــــــــستها أقيك بهــــــا ممّا نخافُ ونفـــــــرَق

عطـــفتُ على أسراركُم فكســــــــوتُها قميـــــصاً من الكتمـــانِ لا يتمزَّق(٧٤)

ومهما يكن فإن الشاعر دائماً يسعى أن تكون محبوبته دوماً إلى جانبه لا تغيب عن ناظريه لحظة ، وإلا أسرته الهموم واعتلاه الألم ، وهذا مسلم بن الوليد يتحدث عن هجر حبيبته وتدللها إذ تركته للعذاب وحرقة الوجد ، فيقول :

تحمّلتُ هجرَ الشّـــــــــــــادنِ المتدلّلِ وعــــــــاصيتُ في حبِّ الغـــــرايةِ عُذّلي

وما أبقتِ الأيــــــــــامُ منّي ولا الصّــــبا سِـــوى كبدٍ حـــــــــــــرَّى وقلبٍ مقتّلِ

ويوم من اللذّاتِ خــــــــالستُ عيـــشه رقيباً علــــــــــــــى اللــذّاتِ غيرَ مغفّلِ

فكنتُ نديم الكـــــأس حتى إذا أنقضتْ تعوّضتُ عنها ريق حـــــــــــوراءَ عطيل
وأن شئتُ أن ألتذَّ نــــــــازلتُ جيــدها فعانقتُ دونَ الجـــــــــيدِ نظمَ القرنفُــل
أنازعُها سرَّ الحـــديثِ وتــــــــــارةً رضاباً لذيذ الطّعم عذب المقـــــــبلِ (٧٥)

أثار هجر الحبيبة المتدللة وحرمان الشاعر منها الألم في نفسه ، فأراد أن يتجاوز تلك اللحظة الزمنية التي تشعره بثقل الواقع عن طريق تداعي الوعي(٧٦) إذ سعى إلى استدعاء الذكريات الجميلة التي قضاها مع امرأة أخرى كان قد تلذذ بها عندما خالس رقيبها غير الغافل عنها ، فامتزجت لذة وصالها بلذة الخمرة التي شربها معها ، فالشاعر ابن المرحلة ((وهو في أقسى حالات عناده وقوته مستثمر للّذّة التي يمنحهـا الزمن الماضي ويتغابى عن الزمن المستقــبلي في محاولة لعيش اللحظة. وعنـدما تتراكـم اللذائذ في عمر الشـــاعر تتكــون لديه معجمية خاصـــة بزمنه في لذّة الألم وألم اللذّة الزمنــية))(٧٧).

وهذه اللذات المستحضرة من خزين الذاكرة والمتمثلة بالخمرة وساعات اللهو التي قضاها مع المرأة المواصلة وتلذذه بها في سياق هذا التداعي هي وسائل عمد بها إلى التعويض عن صد المرأة المتدللة وهجرانها ، وإن طريقة التداعي قد استجوبتها حالة الشاعر لتكون عنصر استجابة هذه المرأة على اعتبار أنها ((الأداة التي يمكن من خلالها سبر أغوار الذاكرة بجميع ما ترسب فيها من أحداث ووقائع ثم حفظها بموجب الكبت ، الذي يرفض استحضارها إلاّ بقرينة نفسية تحرره من قيود الربط والإنتكاس إلى البروز بالتذكر))(٧٨).

ولم تكن المرأة بهجرها وصدها للشاعر تثير ألمه فقط ، بل كان رحيلها يلهج مشاعره ويجعله يتخبط على غيـر ذي هدى ؛ لأنهــا كالأرض في قدرتها علـــى استقطاب لهفة القلق المتحــفز في نفسه (٧٩) وأن الشاعر ((أحب الديار لحبها وكرهها لهجرها إياها وابتعادها عنها))(٨٠) ؛ ليكون منظر الظعائن وقت الرحيل لوحة تمتزج فيها اللذة بالألم ، ألم الحاضر وما سيئوول إليه الشاعر ، ولذة الماضي بذكرياته الجميلة ، يقول بشار بن برد :

تحمّلَ الظّــــــــاعنونَ فأدّلجـــــوا والقـــــلبُ منـــــــــي الغداةَ مختلجُ
بــــــانوا بخـــــــــودٍ كأنَّ رؤيتها بدرٌ بـــــدا والظــــــــــــلامُ مرتهجُ

**فقدْ لهـــــــــونا في ظلِّ وارقـــــــة		والدهر فيـــــــه القـــــــــوام والعوّج**

**ولـــــــــو ترانا مع الجـــــــلاء إذاً		بـــدأ لعينـــــــــــــــــيكَ منظرٌ بهجُ**

**يا حســـــــــنها إذ تقولُ مــــــــازحةً		ونحنُ فـــــــــــوقَ الـــــسَّرير نعتلجُ**

**لقدْ حرجـــــــــنا وهيَ معـــــــــانِقتي		تلثمُني والصَّـــــــــــــــباحُ مُبتلجُ (٨١)**

يظهر النص عمق الألم الذي ينتاب الشاعر غداة رحيل الحبيبة ، ومن خلال أجواء الحزن والألم تتبدى لذته لتعلن انتصارها على هذا الجو النفسي المشحون بألم الفراق ، فالمظاهر الحسية والسمات المادية للمرأة ولّدت أجواء من المتعة في نفس الشاعر ، حينما راح يتذكر أيام لهوه معها ، وهما على سرير واحد معانقة له تقبله حتى الصباح ، فالنقيض من الألم كما نرى استدعى النقيض من اللذة لتكون الذات بمنأى عن كل ما يعكّر صفوتها ويحط من مزاجها، وليعيد لها هذا الوصف توازنها الذي عصفت به ريح الرحيل .

ولا يقف هذا الوصف وحده في التنفيس عن آلام الشاعر ، أثر رحيل الحبيبة أو صدّها وإنما يكون (الطيف أو الحلم) هو الآخر باعثاً من بواعث اللذة التي تسد رمق الشاعر ونزعاته ((فهو معبّر عن إرادة الحالم ومزيل لفارق المطلوب عن الممكن))(٨٢) ، وكل حلم كما يقول فرويد سيبدو بعد التحليل للكامل تحقيقاً للرغبة ، وذلك بعد شعورنا بارتواء هذه الرغبة عن طريق النوم ، أو ما نحققه من أثر وهو ما يعطي الصورة الخفية لذلك المجهول الضائع على وفق ما تمليه الحدود التأويلية للأحلام (٨٣)، وما تسمح له باكتشاف ما هو خفي داخل دينامية النص عن اللاوعي الذي ((يجسد تحقيق أمنية مستحيلة في الواقع))(٨٤) ، كما عند الحسين بن الضحاك ، الذي يقول في وصف طيف محبوبته التي هجرته :

**تألفتُ طيــــــــــــفَ غزالِ الحــــــــرمْ		فواصـــــــــــــــني بعدما قد صـــــــــرمْ**

**ومــــــــــا زلت أقنعُ من نيـــــــــلِه		بما تجتنـــــــــــــيه بنانُ الحـــــــلمْ**

**بنفسي خيــــــــــال علــــــــــى رقبة		ألمّ به الشـــــــــــــوقُ فيما زعـــــــمْ**

**أتاني يجـــــــــاذبُ أردافــــــــــــه		من البـــهرِ تحت كســــــــــوفِ الظُّلمْ**

**فغضّ الجفـــــــون علـــــــــى خجلةٍ		وأعرض إعراضــــــــــة المحتـــــــشمْ**

فشبـــــــــكتُ كفّي علـــــــى كفّه   وأصــــــــــغيتُ ألثمُ دراً بفـــمْ (٨٥)

والشاعر كما نرى يتلذذ بالمرأة الهاجرة ، كما لو كانت حاضرة فعلاً في دنيا الواقع ، فقد واصلته وأشبعت غريزته منها حتى جاء النص طافحاً باللذات الجسدية التي تثير نشوته .

ومثـّل طيف المرأة حالة من الراحة والمتعة عند العتابي بعدما أضناه التعب وأرهقته الآلام في أحدى رحلاته الليلية المستميتة ، ليكون ذلك الطيف كغمامات النعيم التي بات يتلذذ بها حتى الصباح ، يقول :

ولما استقر النــــــوم في جفن عينيه   وماتت له أوصـــــــاله والمـــــفاصل

رمت غمرات المـــــوت رمياً بنفسـها   ولليل ستر حـــــولها متهــــــادل

فأهدى إلينا الليل شخــــــصاً تناسبت   إلى الحسن منه صـــــورة وشمــائل

فباتت غمامات النعيــــم تجـــودنا   لها ديم حتى الصـــــــباح ووابل (٨٦)

والمرأة على ما تقدم تمثل كيــاناً له فاعليته عند الشاعر حتى نراها تتحول عنده إلى رمز يمثل به ذاته ، يظهر بصــورة غير مباشرة في صورة المرأة اللائمة أو العــاذلة ، فهذه الصــورة للمرأة ((تمثل ذات الشاعر نفسه التي تقدم الموقف النقيض من داخله ، فهو حين يتقدم إلى ساحة الوغى منتظياً شجاعته لا يعدم صوتاً من داخله يدعوه إلى الإمساك والتروي ، ولكنه يخشى أن يبث آثار هذا الصوت في قصيدته ، وينقل للناس آثار ما قام في داخله من صراع نفسي ، فيعمد إلى اختلاق عاذلة تمثل الصوت النقيض يحاورها وتحاوره ، منتفعاً من مقدرة صورة المرأة بوجه خاص على تمثيل الوصف النقيض لما عرفت به من حرص على زوجها وعيالها))(٨٧) ، ويبدو إشفاق العاذلة واضحاً في أبيات أبي تمام، إذ يقول :

أعاذلنا ما أخشــــنَ الليلَ مَركبــــــاً   وأخشنُ منـــــــهُ في الملمَّات راكُـــــبه

ذريني وأهـــــوالَ الزّمانِ أقـــــاسها   فأهوالهُ العظـــــمى تليـــــــها رغائبُه

ألمْ تعلمي أنَّ الزّمـــــــاعَ على السُّرى   أخُو النُّجحِ عندَ الحــــادثاتِ وصاحُـبه

دعيني على أخـــــلاقِي الصُّم للّتي   هيَ الـــــوفرُ أو ســـــربٌ ترنّ نوادِبُه

فإنَّ الحُســـــــامَ الهنـــــــدوانيَّ إنّمَا — خشونتُهُ مـــــا لمْ تفلّلْ مضـــــاربُهْ

وقلقلَ نأيٌ من خُراســـــــــانَ جأشَها — فقُلتُ اطمئنّي أنْظرُ الرَّوض عـــازبهْ (٨٨)

أخذت عاذلة أبي تمام تثير في نفسه عوامل الخوف من السفر في ذلك الليل الموحش، وتتوسل إليه أن يقعد ويريح نفسه من شقة الرحلة وأخطار الضرب في الأرض التي قد يلاقي فيها حتفه ومنيته ، لكن الشاعر لا يقتنع بمنطقها ولا يستجيب لرجائها ، بل يحاول الاحتجاج عليها وبإقناعها مصوراً لها عزمه واعتداده بنفسه، وبعد همته واحتماله ، وصبره على ما يلقى من المحن والخطوب من أجل تحقيق أهدافه التي يصبو إليها ، إن هذه المحاورة التي تدور بين الشاعر وعاذلته تكشف عن حالة الشاعر النفسية وعمق التوتر والصراع الذي يستبطن ذاته المتخوفه من المنايا التي أسقطها على عاذلته، وهذا التخوف يثير في الشاعر نوازع الألم لكن لذته تتجلى في حديثه عن شجاعته وإقدامه واعتداده بنفسه ، والأبيات كما نرى تحمل ازدواجية تمثل الصراع الداخلي الذي يستبطن نفس الشاعر بين الخوف من الموت والتطلع إلى الموت الذي يحقق من خلاله طموحاته ورغباته ، إنه الإستبطان الذاتي الذي يعمد إليه الشاعر لتقديم مسوغات منطقية لسلوكه .

وينكر منصور الاصبهاني على عاذلته التي تلومه في أنفــاقه للمال، إذ يقول :

لا تكثري اللوم فما ليـــس ينفعني — إليك عني جرى المــــــــقدور بالقلم

سأتلف المــالَ في عُسر وفي يسرٍ — إن الجواد الذي يعطي علـــــى العدم

كم قد قضيتُ حقوقاً كان أهْمَــلها — غيري ، وقد أخذ الإفــلاس بالكظم (٨٩)

لقد كشفت عاذلة الشاعر عما يدور في نفسه من تناقض بين بذل وانفاق للمال وبين التوجس من الفقر ، مما يجعله يعيش بين نزعتي اللذة والألم ، اللذة التي يجدها في إنفاقه للمال ، والألم الذي قد يصيبه من شدة الإفلاس ، لكن الشاعر لم يبح بهذه المشاعر وإنما أسقطها على عاذلته ، فاللذة كانت هنا سبباً في إثارة ألم الشاعر إلا أنه يتجاوزه ، إذ يرى أن عطاءه وكرمه أمر مقدر مكتوب مما يجعله ينفق ذلك المال سواء أكان في حالة وفرة المال لديه أم في حالة عسره .

ومن منطلق ((أن العشق نوعٌ من اللذة ؛ لأن العشاق والشعراء يجهدون أنفسهم ويؤذونها بالسهر والتألم ؛ لأنهم لم يصيبوا ما يشتهون ، ولو نالوا ما يشتهون لهدأت ثائرتهم وأصبح عندهم شيئاً طبيعياً))(٩٠)، نجد

الشعراء العباسيين يستعذبون الألم ويتلذذون بعذابه ولا سيما إذا كان الألم من الحبيب ، فيتحول الشاعر إلى إنسان (مازوكي) "Masochism" على حد تعبير العالم فرويد في حديثه عن مبدأ اللذة [٩١] ، إذ يتلذذ بعذابه وتستهويه أحزانه ، فالحياة مثلاً لا تكون عند ابن ميادة إلا أن تتقلب على نار الهوى وتصبح منتضجاً بها :

ولا عيش إلا أنْ تبيتَ مُلهـــــــــــوجاً على نارِ منْ تهوى وتصبحَ مُنضجا [٩٢]

وألذ الحب يكمن في أشده ألماً كما يقول العباس بن الأحنف :

وشـــاربُ الحبِّ وردُ المــــــوتِ غايتُهُ وقد وجدتُ أمرَّ الحـــــــبِّ أحلاه [٩٣]

وهذه الفلسفة في استعذاب الألم تتضح أيضاً في قول أبي تمام :

أنتِ في حـــــلٍّ فزدني سقــــــــما أفنِ صبــــــري واجعـل الدّمـــــع دمَا

وأرضى لي المـــــــوتَ بهجريك فإنْ أَلمتْ ً نفســــــــي فزدني ألمــــــا

محنةُ العــــــاشِقِ ذُلٌّ في الهــــوَى وإذا استــــــــــــودع سرّاً كتمـــــا

ليـــــــس منّا من شكــــــا عـلّتُه منْ شكَا ظُلم حبـــــيبٍ ظلَمـــــا [٩٤]

فأبو تمام يستعذب الألم النابع عن الحب ؛ لأنه يجد فيه لذة تثير نشوته إلى درجة يعطي للحبيبة حرية التحكم بمصيره بقوله (أنت في حلّ فزدني سقما) ، وهو يرتضي بألم الموت على هجرها ، وأن لم تحقق له هذه الغاية في موته شوقاً عليها يطلب منها أن تزيده ألما ؛ لأنه على يقين بأنه ليس هناك لذة من غير ألم ولا سيما إذا كانت لذة الحب ، وأن العاشق لا بدَّ أن يرتضي بذل الهوى وما يصدر عنه من معاناة ، وأن يكتم سره ؛ لأن هذا هو حال العشاق جميعاً فهم لا يشكون آلامهم ولا يتكلفون بها ، بل على العكس من ذلك فإنّ هذه الآلام تســرهم وترضيهم وتحقق لذتهم كما يقول البحتري :

كلفٌ بحبّكِ مُولـــــــعٌ ويـسُـــــرُّني أنّي أمرُؤٌ كِلفٌ بحُبِّك مـُــــــــــولَعُ [٩٥]

غير أنَّ المرأة عند البحتري قد تتحول أحياناً لتكون محوراً يجمع بين النقيضين (اللذة والألم) في آن واحد كما في قوله:

أنت نعيـــــــــمي وأنت بؤســـــــــي وقد يســـــــــوء الذي يــــــــسرُّ (٩٦)

لا شك أن هذا الجمع بين اللذة (النعيم) والألم (البؤس) لهما مدلولهما الشعوري وتوحيدهما على مستوى الإحساس لدى الذات الشاعرة ، ومثل نقطة توتر غاية في الأهمية على مستوى التفاعل الذاتي للشاعر ، الذي قدّم المسوغات في إعلان هذه النتيجة ، وذلك في الأبيات التي سبقت هذا البيت ، فهو يبادرها بالوصل ، وهي تلقيه بالهجر والصدود ، واعتلاه التذلل لها وهي لديها التعزز والكبرياء :

منّي وصـــــــــلٌ ومِنـــــــــك هجرُ وفيّ ذلٌّ وفيـــــــــك كبـــــــرُ (٩٧)

وكان حراً طليقاً وهي مطيعة له ، فأصبح عبداً طائعاً لها :

قد كنتُ حـُـــــــــراً وأنتَ عبـــــــــدٌ فصِــــــرتُ عَــــــــبْداً وأنتَ حرٌّ (٩٨)

فحبه لهذه المرأة وفعلها المؤلم في ذاته هو ما جعل المشاعر المختلفة والواقعة بين نزعتي اللذة والألم تتوحد ، فراح يتعامل مع الحبيبة في حال كونها نعيماً تماماً ، كما في حال كونها بؤســاً تماماً ، وإدراكه لهذين النقيضـــين النعيم والبؤس قد عكست رؤيته في تجسيد حقيقة متناقضة في معنــــاها ، إنَّ اللذة والألم إذا وصــل كلاهما إلى نهايته ، فما أشد شبهه بالآخر حتى يصعب علينا أن نميز اللذّة هو أم ألم ؟ فالحب – إذن – يجمع بين النقيضين اللذة والألم بين النشوة والعذاب بين السعادة والشقاء ... ولعله السبب في أن ((عذاب المحبين يكون مصدر سعادة لهم ، كما أن سعادتهم قد تصبح مصدر ألم لهم ، أو لعل الأدنى إلى الصواب أن نقول إن القيمة الوجدانية المميزة للحب تقع فيما وراء كل من السعادة والشقاء ، لأنها تمثل وجداناً من نوع آخر ، أو عاطفة ذات رتبة مختلفة))(٩٩) يتحسسها كل من ذاق لذة الحب وحلاوته وتجرع آلامه ومرارته ، يقول بكر بن النطاح :

قد كنت أسمع بالهــــــوى فأظنــه شيئاً يلـــــــذ لأهله ويطـــــــيب

حتى ابتليت بحلــــــــــوه ويمـره فالحـــــلو منه للقلـــــوب مذيب

والمر يعجز منطقي عن وصـــفه للمر وصف يا عنــــــان عجيب

فأنا الشقي بحلــــــــوه ويمــره وأنا المعنى الهائم المــكروب (١٠٠)

وهذا العالم من الحب الزاخر بنقائض اللذة والألم قد تحرّكه المرأة المتمنعة التي تثير انفعالات الشاعر ، فيجد في تمنعها شعوراً باللذة والألم حيث ترسم صورة لمعاناته النفسية ، وتكون بؤرة الصراع النفسي بين المتضادين بين الحس بالمتعة والنشوة والحس بالمأساة ، وهذا مسلم بن الوليد يحبّ المرأة التي لا تجود بوصالها ، إذ يقول :

أحبُّ الّتي صدّتْ وقالتْ لتربِهـــا　　　　دعيهِ الثُّريّا منهُ أقربُ مِنْ وصْلي [١٠١]

لعل هذا النوع من الحب للمرأة في نظر الشاعر نابع من كونها تمثل صورة للمثل الأعلى الذي لا ينال بسهولة ، مما يجعله يتمسك ويتلذذ بها على الرغم من ألم صدودها عنه ، وكأن المرأة هنا ، مارست نشاطاً فسيولوجياً اكتسبته بفطرتها على الشاعر ، وهو المرغوب الممتنع ؛ لتكون دائماً هي في موضع التعالي والمطلب الصعب الذي لا يحصل عليه إلا بالجهد والكد والتعب ؛ لأنه من ملك شيئاً وقدر عليه ضعف هذا الباعث الداعي ، وأصبح شيئاً طبيعياً مملولاً فـ((كل موجود مملول وكل ممنوع مطلوب))[١٠٢] .

إزاء كل ما تقدم ندرك أن رؤية الشاعر العباسي للمرأة قد استوعبت كل أفكاره ومشاعره ، فكانت باعثاً مهماً لنزعتي اللذة والألم اللذين ظهرت صورتيهما الحسية والعذرية على شكل شعور يتأرجح بين الغبطة والحسرة ، في الاستمتاع باللحظة الراهنة كنشوة يعقبها شيء من الحزن أو الأسى لانقضائها ، فكانت اللذة ونفيها يتبادلان الأدوار دون أن يخفض أحدهما جناحه للآخر .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الممتعة مع بواعث اللذة والألم عند الشاعر العباسي ، لابُدَّ من الوقوف عند أبرز نتائج هذه الدراسة ، والتي تمثلت بما يأتي :

* إنَّ اللذة والألم من الكفيات الأولية للطبيعة الإنسانية ، فمن خلالهما يمكن أن نتعرف على الكثير من الدلالات النفسية والجسمية للذات البشرية ، لكون الشق الأول (اللذة) يترجم تلك الرغبات أو الحاجات التي يسعى الإنسان دوماً إلى إشباعها وتحقيق غرضها ، أما (الألم) فيمثل الضد في حال الإنتفاء أو الفشل في تحقيق تلك الرغبات .

* وجدنا أن الطبيعة كانت من البواعث المهمة التي انصهرت مع نفسية الشاعر ، مما حدا به أن يتعامل معها تعاملاً وجدانياً ، فهو يحاكيها ويسقط عليها مشاعره وأحاسيسه ويلونها بحسب ما يشعر به من إحساس لاذ أو مؤلم ، فإذا ما شعر بالفرح أو السعادة أفرح الطبيعة معه ، أما إذا حزن أحزنها معه كذلك ، من هنا نستطيع القول إن الطبيعة كانت في بعض الأحيان هي الشاعر والشاعر هو الطبيعة .

* لقد جسّدت المرأة بحضورها الواقعي والرمزي باعثاً مهماً للذة والألم عند الشاعر العباسي على حد سواء تمثل في حال الإقبال و الصد ، أو في حال الوصل و الهجر ، مع ضرورة التأكيد أن رؤية الشعراء ونظرتهم لها كانت مختلفة تنبع من طبيعة الشاعر نفسه وشعوره بألم الحرمان منها كما رأينا عند بعضهم الذين جاءت نظرتهم لها نفعية مادية طغى عليها الوصف الحسي والتركيز على اللذة الحسية التي وصلت إلى حد الحط من شأنها والتقليل من مكانتها ، وجعلها فقط مركزاً للذة ، غير أن هناك شعراء كانت نظرتهم لها بعيدة عن تلك اللذات المادية وإنما جعلت جلّ همّها اللذة النقية الخالصة من شوائب الدنس تمثلت بالحب العذري الذي وجدنا الشاعر فيه في بعض الأحيان يكون إنسانا مازوكياً متلذذا بعذاب الحب وآلامه ويجد فيه لذته .

الهوامش

(١) ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبيا : ٢٨٢/٢.

(٢) اللبيدو (libido) أو الطاقة الحيوية أو الجنسية ، كان مقصوداً بها أول الأمر الشهوة أو الطاقة الجنسية ثم صار معناها الطاقة أو الإبداع الحيوي ، ينظر : علم النفس والتحليل النفسي ، د. عبد المنعم حنفي : ١/ ٤٣٦، وقد قسم فرويد النفس الإنسانية إلى ثلاثة أقسام : الأنا أو الذات ، والهو أو الذات الدنيا والأنا الأعلى أو الذات العليا ينظر : مبادئ علم النفس الفرويدوي :كالفن – س – هول ، ترجمة : دحام الكيال : ٨–٣٠ .

(٣) المصدر نفسه : ٨–٣٠.

(٤) فلسفة اللذة والألم ، ارسبطس وشيعته ، إسماعيل مظهر : ١٠٨.

(٥) الإنسان بين الجوهر والمظهر ، اريك فروم ، ترجمة سعد زهران :١٠٩–١١٠.

(٦) ينظر: مبادئ الفلسفة والأخلاق ،د. زكريا إبراهيم : ١٦١.

(٧) ينظر : المصدر نفسه :١٦١.

(٨) سورة البقرة ، الآية ٢١٦.

(٩) مشكلة الإنسان ، د. زكريا إبراهيم : ٩٨.

(١٠) المصدر نفسه : 98.

(١١) ينظر : رسالتان في اللذات والآلام والنفس والعقل ، أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه: ١٣.

(١٢) الأدب وقيم الحياة المعاصرة ، د. محمد زكي العشماوي : ٤٠٥.

(١٣) دراسة في لغة الشعر (رؤية نقدية) ، د. رجاء عيد: ٣٣.

(١٤) ينظر : شعر الطبيعة في الأدب العربي ، د. سيد نوفل : ٢٧٣.

(١٥) ينظر : اتجاهات الشعر في القرن الثاني : ٤٩٠.

(١٦) في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف : ١١١.

(١٧) المقدمة الطللية بين الاستجابة النفسية والتقليد الفني (بحث) ، د. بوجمعة بو بيعو : ٥٥. * الاسقاط (projection): وهو حالة تحويل كل معتقدات الفرد وتصوراته وأفكاره الخاصة إلى الوسط والأفراد من الناس الآخرين ، وتحميلهم صورة أفكاره وجعلهم مسؤولين عن صيرورة ومآل هذه المعتقدات ، وتحويل الوسط الاجتماعي إلى مرآة تتحمل كل صور الانعكاس الذاتي للفرد وكأنها مرئياتهم وصورهم في محاولة لمد الذات الخاصة إلى الوسط العام : نقد الشعر في المنظور النفسي ، د. ريكان إبراهيم : ٢٩.

(١٨) فلسفة المكان في الشعر العربي ، د. حبيب مونسي : ٢٠.

(١٩) ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره ، صنعه عبدالله الجبوري : ٧٠-٧١.

(٢٠) الصورة البدوية في الشعر العباسي (٣٣٢-٦٥٦هـ)، د. ضياء عبد الرزاق : ٨٥.

(٢١) ينظر : قراءة ثانية لشعرنا القديم : د. مصطفى ناصف : ٦٠.

(٢٢) ينظر على سبيل التمثيل لا الحصر : شعر أبي حية النميري ،جمعه وحققه ، د. يحيى الجبوري : ٦٧، ٨٤، وشعر الحسين بن مطير الاسدي ، جمعه وحققه ، د.محسن غياض : ٣٦، ١٥ ، وديوان أبي تمام بشرح الصولي ، تح : د. خلف رشيد نعمان : ٢١٦/١ ، ٢٤٩، ٣١٦ ، ٣٤٩ –٣٥٠ ، وشرح ديوان صريع الغواني ، تح : د. سامي الدهان : ١٣٠-١٣١، وديوان البحتري ، تح: حسن كامل الصيرفي : ٢٩٤/١، ٦٤٥/٢، ٦٥٠، ٦٨٠، ٣/ ١٤٠٣، ١٤٩٢، ٤/ ٢١٢٧،٢١٥٨ ، وشعر ابن ميادة ، تح : د. حنا جميل حداد : ١٦٢، ٢١٤ ، وشعر علي بن جبلة ، تح : د. حسين عطوان : ١١٥-١١٨ والحارثي حياته وشعره ، تح: زكي ذاكر العاني : ٥٧.

(٢٣) شعر ربيعة الرقي ، تح : د. يوسف حسين : ٧٣ . العولة والعول والعويل : رفع الصوت بالبكاء .

(٢٤) ينظر : فلسفة المكان في الشعر العربي : ٣٤.

(٢٥) ينظر : دراسات نقدية في الشعر العربي ، بهجت عبد الغفور : ٣٦.و المعادل الموضوعي (Obgective correlative): هو العثور على مجموعة أشياء ، أو على موقف ، أوعلى سلسلة من

الأحداث تكون هي الصيغة التي توضح فيها العاطفة ، ينظر : آفاق في النقد والفن ، د. عناد غزوان : ٢٣.

(٢٦) ديوان البحتري : ٢/ ١١٥٢. جدا: العطاء ، جبس : الجبان واللئيم .(٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) تراجع القصيدة في الديوان ٢/ ١١٥٢-١١٦٠.

(٣١) ديوان أشعار الأمير عبدالله ابن المعتز ، تح : د. محمد بديع شريف : ٢٨٩/٢،الملالة : أي ترك الشيء والاعراض عنه ، القلى : البغض.

(٣٢) شعر ابن المعتز ، تح: يونس السامرائي : ٥٦٦/٢.

(٣٣) الحارثي حياته وشعره : ٦٩-٨٢.

(٣٤) ديوان أبي الشمقمق ، تح : واضح عبد الصمد : ٥٤-٥٥.

(٣٥) ينظر : فن الوصف وتطوره في الشعر العربي ، ايليا الحاوي : ١٢.

(٣٦) ديوان علي بن الجهم ، تح ، خليل مردم بك : ١١٣-١١٤.

(٣٧) ينظر : علم الجمال ، هوسيمان : ٣٧، نقلاً عن المفاهيم الجمالية في الشعر العباسي ، د. احمد طعمة حلبي: ٢٥.

(٣٨) المفاهيم الجمالية في الشعر العباسي: ١١٦.

(٣٩) فن الوصف وتطوره في الشعر العربي ،د. إيليا الحاوي : ١١.

(٤٠) الاستبطان (Introspection) : حالة تزامن فكرتين متناقضتين عند الفرد في آن واحد فيفكر بهما في آن ويتعامل معهما في آن ، نقد الشعر في المنظور النفسي : ٢٩.

(٤١) ينظر: القصيدة في الديوان : ٢١٣/١-٢٢٤.

(٤٢) المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية ، اولف جيجت ، ترجمة : عزت قرني : ٤٣٧.

(٤٣) ديوان ابن الرومي، تح : حسين نصار : ١/ ٢٢٥.

(٤٤) ينظر : روح العصر، د. عز الدين إسماعيل : ٢٢.

(٤٥) ينظر : تاريخ الفكر الفلسفي- الفلسفة اليونانية ، د. محمد علي أبو ريّان: ١٥١/١.

(٤٦) ابن الرومي حياته من شعره: العقاد : ٢١٥.

(٤٧) ينظر : شعراء عباسيون منسيون ، إبراهيم النجار : القسم الثاني : ٣/ ٢٦.

(٤٨) ديوان العباس بن الاحنف، تح : عاتكة الخزرجي : ١٦١-١٦٢.

(٤٩) علم النفس في الفن والحياة ، د. يوسف مراد: ٣٤.

(٥٠) ديوان ابن الرومي : ١٣٣/١.

(٥١) ينظر: الألم النفسي والعضوي ، د. عادل صادق : ٢٨.

(٥٢) المرأة واثرها في الحياة العربية ، د. عبد الحميد فايز : ١١٣-١١٤.
(٥٣) الزمن عند شعراء العرب قبل الإسلام ، د. عبد الآله الصائغ : ٢٠٥.
(٥٤) ينظر : الغزل عند العرب ، ج. ل . فادية ، ترجمة : د. إبراهيم الكيلاني : ٧١/١.
(٥٥) ينظر : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى عمر بن أبي ربيعة ، د. شكري فيصل : ٨٩.
(٥٦) ينظر : أدباء العرب في الأعصر العباسية ، بطرس البستاني: ٢٤٨.
(٥٧) ينظر : اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ،د. يوسف حسين بكار : ١١١.
(٥٨) المرأة في أدب العصر العباسي ، د. واجدة مجيد عبدالله الاطرقجي : ٤٠.
(٥٩) ينظر : العشاق الثلاثة ، د.زكي مبارك : ١١.
(٦٠) ديوان أبي نواس ، تح: أحمد عبد المجيد الغزالي: ١٥٨- ١٥٩. تيها : دلالاً.
(٦١) ثنائية اللذة والألم في الشعر العربي قبل الأسلام : ٧١.
(٦٢) مشكلة الحب ، د. زكريا ابراهيم : ٢٣.
(٦٣) مراجعات في الآداب والفنون ، عباس محمود العقاد: ١٢٥.
(٦٤) ديوان بشار بن برد ، تح : محمد الطاهر بن عاشور : ١٥٣/٣.
(٦٥) مشكلة الحب : ٢٩.
(٦٦) شخصية بشار ، د. محمد النويهي : ١٨١.
(٦٧) ينظر : ابن الرومي في الصورة والوجود ، د. علي شلق: ٥.
(٦٨) ديوان ابن الرومي :٢٤٧٥/٦.
(٦٩) ديوان عبد الصمد بن المعذل ، حققه وقدم له ، د. زهير غازي زاهد : ١٢٣.
(٧٠) مشكلة الحب :٣٠.
(٧١) ديوان العباس بن الاحنف :٢٧٧.
(٧٢) المشكلة الخلقية،د.زكريا إبراهيم : ١٢١.
(٧٣) طوق الحمامة في الألفة والآلاف، ابن حزم : ٦٣-٦٤.
(٧٤) ديوان العباس بن الأحنف : ١٩٥.
(٧٥) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ١٤١-١٤٣.
(٧٦) التداعي ((Association)) وهو مصطلح يطلق على كل الأفكار التي ترد إلى الذهن أمّا إنطلاقاً من عنصر معين، وأمّا بشكل عفوي. ينظر:معجم مصطلحات التحليل النفسي، لابلانش جان ، ترجمة مصطفى حجازي : ١٧٠.

(٧٧) نقد الشعر في المنظور النفسي : ٨٧ .

(٧٨) الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، د. عبد القادر فيدوح : ٣٠٨ .

(٧٩) ينظر : الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصرين الجاهلي والاسلامي ، د. حسين علي الدخيلي : ١١٨.

(٨٠) المرأة في الشعر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي : ٨٨.

(٨١) ديوان بشار بن برد : ٢/ ٧٠-٧١.

(٨٢) نقد الشعر في المنظور النفسي : ٥٨.

(٨٣) طريقة التحليل النفسي والعقيدة الفرودوية ، رولان دالبييز، ترجمة ، حافظ الجمالي : ٥٨.

(٨٤) الماركسية والتحليل النفسي ، د. أوسبورن ، ترجمة، د. سعاد الشرقاوي : ٤٢.

(٨٥) ديوان الحسين بن الضحاك ، تح: د.جليل العطية : ١٦٩.

(٨٦) العتابي ، حياته وما تبقى من شعره ، د. ناصر حلاوي ، (بحث) : ٤١٤.

(٨٧) مدخل إلى بنية القصيدة العربية في الدراسات نقدية في الشعر الجاهلي (بحث) ، د. محمود الجادر ، نقلاً عن دراسات نقدية في الشعر العربي ، د. بهجت عبد الغفور : ٢٠.

(٨٨) ديوان أبي تمام : ٢٩٠/١.

(٨٩) طبقات الشعراء ، ابن المعتز : ٣٥١.

(٩٠) الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية ، د. ناجي التكريتي:٢٠٥.

(٩١) ينظر : مبادئ علم النفس الفرويدوي : ٨-٣٠ . المازوكية : وهي الرغبة في العذاب والتلذذ بسوء المعاملة كوسيلة للإشباع والاستمتاع ، أو إيلام المحبوب للحصول على اللذة ، ربما كانت المازوكية مجرد رغبة فضولية في المهانة والإذلال ، ولكنها تبلغ الطرف الأقصى في الرغبة في الموت : ينظر : موسوعة علم النفس ، د. سعد رزوق: ٢٦٨.

(٩٢) شعر ابن ميادة : ٨٩.

(٩٣) ديوان العباس بن الأحنف : ٢٨٥.

(٩٤) ديوان أبي تمام :٤٧١/٣.

(٩٥) ديوان البحتري : ١٣١١/٢.(٩٦) (٩٧) (٩٨) تراجع القصيدة ١٠٥٠/٢.

(٩٩) المشكلة الخلقية : ٢٤٧-٢٤٨.

(١٠٠) عشرة شعراء مقلون ، د. حاتم صالح الضامن : ٢٤٩.

(١٠١) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ٣٤.

(١٠٢) الفلسفة الاخلاقية اليونانية : ٢٠٥.

المصادر والمراجع

* ابن الرومي حياته من شعره ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٧ ، ١٩٦٨ .
* ابن الرومي في الصورة والوجود ، د . علي شلق ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١، ١٩٨٢ .
* اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، د. محمد مصطفى الهدارة ، دار العلوم العربية ، ط١، ١٩٨٨.
* اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ، د. يوسف حسين بكار ، دار المعارف بمصر ، (د.ت).
* الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، د. عبد القادر فيدوح، منشورات اتحاد كتاب العرب ، ١٩٩٢.
* أدباء العرب في الأعصر العباسية، ، حياتهم ، آثارهم ، نقد آثارهم، بطرس البستاني ، توزيع دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٩.
* الأدب وقيم الحياة المعاصرة ، د.محمد زكي العشماوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الإسكندرية ، مطابع عابدين ، ١٩٧٤.
* آفاق في الأدب والنقد، د.عناد غزوان إسماعيل، وزارة الثقافة والأعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٠.
* الألم النفسي والعضوي ، د. عادل صادق ، مصر ، القاهرة (د.ط) ، (د.ت).
* الإنسان بين الجوهر والمظهر ، اريك فروم ، ترجمة سعد زهران ، مراجعة لطفي فطيم، سلسلة عالم المعرفة، أغسطس ، ١٩٨٩.
* تاريخ الفكر الفلسفي – الفلسفة اليونانية ، د. محمد علي أبو ريّان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط٥، ١٩٨٤.
* تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، من امرئ القيس إلى عمر بن أبي ربيعة ، د. شكري فيصل ، دار العلم للملايين ، ط٥، بيروت ، ١٩٦٤.
* ثنائية اللذة والألم في الشعر العربي قبل الإسلام (أطروحة) ، ليلى نعيم عطية ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥.
* الحارثي حياته وشعره ، جمع وتحقيق ودراسة ، د. زكي ذاكر العاني ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠.

* دراسات نقدية في الشعر العربي ، د. بهجت عبد الغفور الحديثي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٢.

* دراسة في لغة الشعر (رؤية نقدية) ، د. رجاء عيد ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مطبعة أطلس ، ١٩٧٨.

* ديوان ابن الرومي ، أبي الحسن علي بن العباس بن جريج (ت ٢٨٣ هـ) ،تح : د . حسين نصار ، مطبعة دار الكتب الهيئة المصـرية العامة للكتاب ، ج١، ١٩٧٣ ، ج٢ ، ١٩٧٤ ، ج٣ ، ١٩٧٦ ، ج٤ ،١٩٧٨، ج٥ ، ١٩٧٩ ، ج٦ ، ١٩٨١ .

* ديوان أبي تمام بشرح الصولي ، تح: د. خلف رشيد نعمان ، وزارة الإعلام العراقية ، ط١، ج١، ١٩٧٧، ج٢، ١٩٧٨، ج٣، ١٩٨٢.

* ديوان أبي الشمقمق، جمعه وحققه وشرحه الدكتور واضح محمد الصمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥.

* ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره، صنعة عبد الله الجبوري، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤.

* ديوان أبي نواس الحَسَن بن هانئ، حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي، راجعه وفهرسه: أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان(د. ط) ، ٢٠١٠.

* ديوان أشعار الأمير عبد الله بن محمد بن المعتز الخليفة العباسي ، تح: د. محمد بديع شريف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٧.

* ديوان البحتري، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه، حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٧.

* ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح: محمد الطاهر ابن عاشور، ج١ طبعة الجزائر ٢٠٠٧، ج٢ ، ج٣ ، ج٤ لجنة التأليف والترجمة ، مصر ١٩٥٤-١٩٦٦.

* ديوان الحسين بن الضحَّاك، تح: الدكتور جليل العطية، منشورات الجمل، ألمانيا، بغداد، ط١، ٢٠٠٥ .

* ديوان العباس بن الأحنف ، تح : عاتكة الخزرجي ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٤.

* ديوان عبد الصمد بن المعذل ، حققه وقدم له ، د.زهير غازي زاهد ، دار صادر ، بيروت ، ط١، ١٩٩٨.

* ديوان علي بن الجهم، تح: خليل مردم بك، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٣،

١٩٩٦م.

* رسالتان في اللذات والآلام والنفس والعقل ، أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه ، منشورات الجمل ، ط١، ٢٠٠٩.
* روح العصر – دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة – تأليف عز الدين إسماعيل، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٩٧٢.
* الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ، عبد الآله الصائغ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ .
* شخصية بشار، د. محمد النويهي، مكتبة النهضة المصري، القاهرة، ط١، ١٩٥١.
* شرح ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد) (ت٢٠٨ هـ) ، تح: د. سامي الدهان ، دار المعارف ، ط٨، ١٩٨٥.
* شعراء عباسيون منسيون ، د. إبراهيم النجار ، القسم الثاني ، ج٣، دار الغرب الإسلامي ، ط١، بيروت ،(د.ت).
* شعر ابن المعتز، صنعة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت٣٣٥هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور يونس أحمد السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، د.ط، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨.
* شعر ابن ميادة، جمع وتحقيق: الدكتور حنا جميل حداد، راجعه وأشرف على طباعته: قدري الحكيم، دمشق، ١٩٨٢.
* شعر أبي حية النُّميري، جمعه وحققه الدكتور يحيى الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، د.ط، ١٩٧٥.
* شعر الحسين بن مطير الأسدي، جمعه وحققه الدكتور محسن غياض، دار الحرية للطباعة، بغداد(د.ط) ، ١٩٧١ .
* شعر ربيعة الرقي، جمعه وحققه وقدَّم له ، د. يوسف حسين بكار، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠ .
* شعر الطبيعة في الأدب العربي ، د. سيد نوفل ، دار المعارف ، مصر، (د.ت).
* شعر علي بن جَبَلة الملقب بالعَكَوَّك، جمعه وحققه وقدَّم له ، د. حسين عطوان، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٨٢.
* الصورة البدوية في الشعر العربي (٣٣٢–٦٥٦هـ) ، د. ضياء عبد الرزاق العاني ، ط١، دار دجلة ، ٢٠١٠.
* طبقات الشعراء، عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ) تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف،

مصر، ط٤، ١٩٨٠.

* طريقة التحليل النفسي والعقيدة الفرودوية ، رولان دالبييز ، ترجمة حافظ الجمالي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٢، بغداد ، ١٩٨٤.
* طوق الحمامة في الألفة والألآف ، الإمام أبي محمد علي بن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ) مكتبة عرفة بدمشق (د.ط) ، (د.ت).
* العتَّابي حياته وما تبقّى من شعره، الدكتور ناصر حلاوي، المربد، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد٢-٣، السنة٢، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩
* العشاق الثلاثة ، زكي مبارك ، المكتبة العصرية ، ط١، بيروت (د.ت).
* عشرة شعراء مقلون ، د. حاتم صالح الضامن ، دار الحكمة للطبع والنشر ، الموصل ، ١٩٩٠.
* علم النفس في الفن والحياة ،د. يوسف مراد ، دار الهلال سلسلة شهرية للنشر والثقافة (د.ط) (د.ت).
* علم النفس والتحليل النفسي، د. عبد المنعم الحفني، الناشر، مكتبة مدبولي، ١٩٧٥.
* الغزل عند العرب ، ج . ك – فاديه ، ترجمة إبراهيم الكيلاني ، مطبعة وزارة الثقافة ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٧٩
* الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي ، د. حسين علي الدخيلي ، دار الحامد ، الأردن ، ط١، ٢٠١١.
* فلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام ، د. ناجي التكريتي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٨.
* فلسفة اللذة والألم ، ارسبطس وشيعته ، إسماعيل مظهر ، مطبوعات مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٦.
* فلسفة المكان في الشعر العربي – قراءة موضوعاتية جمالية – الدكتور حبيب مونسي، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
* فن الوصف وتطوره في الشعر العربي ، إيليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري ، ط٢، ١٩٨٠.
* في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٩، (د.ت) .
* قراءة ثانية لشعرنا القديم ، د. مصطفى ناصف ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، ط٢، ١٩٨١.
* الماركسية والتحليل النفسي ، د. أوسبورن ، ترجمة د. سعاد الشرقاوي ، دار المعارف ، مصر ، ط٢، ١٩٨٠.

* مبادئ علم النفس الفرويدي، تأليف كالفن – س – هول، تعريب دحّام الكيّال، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٦٨ .
* مبادئ الفلسفة والأخلاق ، د. زكريا إبراهيم ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة (د.ت).
* مراجعات في الآداب والفنون ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٦٦.
* المرأة في أدب العصر العباسي ، د. واجدة مجيد الاطرقجي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١
* المرأة في الشعر الجاهلي، احمد محمد الحوفي ، مطبعة المدني ، دار الفكر العربي ، ط، (د.ت).
* المرأة وأثرها في الحياة العربية ، د. عبد الحميد فايز ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، ط٨، ١٩٨٣.
* المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية، أولف جيجن، ترجمه عن الألمانية وعلق عليه دكتور عزت قرني، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت.
* مشكلة الإنسان – مشكلات فلسفية – د.زكريا إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ، (د.ت).
* مشكلة الحب – مشكلات فلسفية – د. زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٧٠.
* المشكلة الخلقية – مشكلات فلسفية – د. زكريا إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ، (د.ت).
* المقدمة الطللية بين الاستجابة النفسية والتقليد الفني (بحث) ، د. بوجمعة بوبيعو ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، العدد ٧٦، سنة ١٩، ١٩٩٩.
* المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢
* معجم ومصطلحات التحليل النفسي، لابلانش جان، جـ، ب، بونتاليس، ترجمة مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.
* مفاهيم جمالية في الشعر العباسي ، د. أحمد طعمة حلبي ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ، سوريا ، ٢٠٠٦.
* موسوعة علم النفس ، د. سعد رزوق ، المؤسسة العربية للدراسات ، مطابع الشرق ، ط١، ١٩٧٧.
* نقد الشعر في المنظور النفسي ، د. ريكان إبراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩.